بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمَة

استنبط علماء النحو أحكام النحو العربي وقواعده باستقراء نصوص اللغة العربية الفصيحة، المتمثّلة بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي الجاهلي والإسلامي والأموي، وكلام العرب الفصحاء الذين حافظوا على سليقة العربية السليمة التي لم تتأثر باختلاط العرب بالأمم الأخرى.

ولكنّ منعم النظر في أحكام النحو العربي وقواعده، يهوله ويزعجه تلك الخلافات بين النحويين في هذه الأحكام والقواعد، حتى بلغ الأمر، أنه ما من قاعدة نحوية إلا وفيها خلاف واختلاف، ووجهات نظر بين النحويين فتعدّدت الآراء، وتشعبت التأويلات، حتى إنني يمكن لي أن أطلق على النحو العربي، نحو الخلاف والاختلاف، وذلك لكثرة الخلافات النحوية وتعدّدها في المسألة الواحدة.

غير أنني وجدت أن هناك الكثير من المسائل الخلافية في أحكام النحو العربي بين النحويين، يمكن تسويتها والأخذ بكلا الرأيين المختلف فيهما، منطلقاً في ذلك من مقولة دارجة مشهورة في الفقه الإسلامي: اختلاف الفقهاء رحمة للعباد. فطبقت هذه المقولة على اختلاف النحويين، قائلاً: في اختلاف النحويين رحمة للمتأدبين، منادياً بجواز الأخذ بأحد الرأيين، من غير تخطئة أي منهما، وفي ذلك توسعة على أبناء اللغة، وتيسير على الناطقين بها.

فإذا كان اختلاف الفقهاء، فيه رحمة للعباد، وهو في مسائل -وإن كان في الفروع- إلا أنها تمّس عقيدة المؤمن وعباداته ومعاملاته في حياته، فالأولى أن يكون في اختلاف النحويين رحمة للمتأدبين، وأبناء اللغة، لأنه مهما بلغت قداسة اللغة فلا يمكن أن تبلغ قداسة العبادات والمعاملات وغيرهما من القضايا الدينية في حياة الناس.

ولهذا فرأيت ألا غضاضة ولا اعتراض في تطبيق هذه المقولة على بعض أحكام النحو وقضاياه المختلف فيها بين النحويين، شريطة أن تخضع لمحكات دقيقة، واحتجاجات صحيحة، وشواهد متعدّدة، تؤيّد الرأي المخالف، وتثبّت حجّته بالنقل والعقل والمنطق السليم، وفق أسس العربية ونواميسها في تراكيبها، ونظم الكلم فيها.

وبعد استخراج مئات المسائل الخلافية، قمت بغربلتها حتى توصلت إلى خمس وستين مسألة، يمكن الإفادة فيها من مقولة: اختلاف النحويين رحمة للمتأدبين؛ لقوة حجّة واحتجاج الطرف الآخر في هذه المسائل النحوية المختلف فيها. وبناء على ذلك فإنني أناشد مجامع اللغة العربية في العالم العربي النظر إلى هذه المسائل، والأخذ بما يمكن أن ييسّر على أبناء العربية، من باب التوسعة، لأن اللغة في تطور دائم، ولأن بعض قواعدها وأحكامها لا يمكن أن تظل محنّطة وجامدة، وبخاصة في المسائل التي لا تمس جوهر اللغة ونظامها البنيوي، وأحكامها ونواميسها، آخذين بعين الاعتبار أهمية لغات القبائل العربية التي اتفق علماء النحو واللغة على الاحتجاج بها، لفصاحتها وبعدها عن التأثر اللغوي بالأمم الأخرى.

وأخيراً فأرجو أن تلقى هذه الدعوة آذاناً صاغية خدمة للغة وأهلها، غير مبرئ نفسي من القصور أو التقصير، ومن الخطأ والخطل؛ لأن الكمال لله وحده، ولكتابه الكريم، وأمّا طروحات أبناء البشر وأعمالهم فإنها موصومة بالخطأ والنسيان، وموصولة بالهفوات والزلات. ومهما بلغ المرء في الحرص والحذر واليقظة، فلا بدّ له من العثار في هافية القول، أو غافية الذهن والعقل والاجتهاد. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يهديني سواء السبيل، وأن يدخلني في رحمته التي وسعت كل شيء، إنه بعباده رؤوف رحيم. والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

د. عزام عمر الشجراوي